

السنة السادسة والستون وأربع مئة

فيها في المُحرَّم ورد الخبر إلى بغداد بأن عساكر غَزنة خرجوا وتعرَّضوا لبلاد ملك شاه، وخرج إليهم إلياس بن ألب أرسلان أخو ملك شاه، فقاتلهم، واستأمن إليه سبع مئة منهم، وانهزموا إلى غَزنة، وأوغل خلفهم، وكان سلطان غَزنة إبراهيم بن مسعود ابن محمود بن سُبُكْتِكِين، وعاد إلياس من الوقعة إلى بَلُخ، فمات بعدها بثلاثة أيام، وكفي ملك شاه أمر الغزنوية، وأمر أخيه إلياس، وسرَّ بوفاته؛ لأنه كان منحرفاً على ملك شاه، وفي نيته الخلاف عليه، فقال له نظام الملك: لا تظهر الشماتة به، واقعد في العزاء. ففعل، وأظهر الحزن عليه.

وفي ثاني صفر جلس الخليفة، وولدُ ولده عدة الدين قائم على رأسه وله ثماني عشرة سنة، وأوصل إليه سعد الدولة الكوهراني والجماعة الحاضرين وأعطاه عهد ملك شاه بالسلطنة، وندب عميد الدولة ابن جَهير إلى الخروج بالخلع إلى ملك شاه إلى الري، وندب معه مسعوداً الخادم، وسار يوم الثلاثاء سابع عشر صفر، وتقدَّم سعد الدولة الكوهراني.

وفيها سار بدر الجمالي أمير الجيوش من عكا إلى مصر ومعه عبدالله ابن صاحب مصر باستدعاء المستنصر بعد قتل ابن حمدان، وتغلَّب يلدكز التركي، ووصل إلى دمياط وبها ابن المُدبِّر، وكان قد هرب منه فقتله وصلبه، ودخل إلى مصر بعد أن اتَّفَق مع يلدكز، وتحالفا وتعاهدا، ثم قبض على يلدكز وأهانته وعذَّبه، وطالبه بالمال فلم يظفر بسوى اثني عشر ألف دينار، وكان له من الأموال والجواهر شيءٌ عظيم، إلا أنه لم يقرَّبه، فقتله أمير الجيوش، وهرب يلدكز إلى الشام، وانتزع أمير الجيوش الشرقية من أيدي لواتة، وقتل منهم مقتلةً عظيمةً، وأسر أمراءهم، وأخذ منهم أموالاً جمَّةً، وعمر الريف، فرخصت الأسعار، ورجعت إلى عاداتها القديمة، وأخذ الإسكندرية وسلَّمها إلى القاضي ابن المحترق، وأصلح سودان الصعيد واستدعاهم^(١) إليه، وجاءه منهم الكثير، وصلحت الحال لهلاك الأضداد، ورُفعت الفتن، وانفرد أمير الجيوش بالأمر.

(١) في (ب): واستدناهم.

وفيها تغيّرت نية نظام الملك على الخليفة فأقطع بعض ضياعه للغرّ، وكان الأعداء قد سعوا بينه وبين الوزير ابن جَهير، فلما اجتمع ولده عميدُ الدولة بنظام الملك اعتذر إليه مما نقل عن أبيه، وحلف له فصدّقه، وصلاح الحال، وأعطى الخليفة للغرّ مالا أرضاهم به، ولم يتعرّضوا لضياعه، وتوفّيت خاتون الشقيرية بأصفهان، وكانت زوجة ألب أرسلان، وخلّفت أموالاً لا تُحصى.

وفيها في صفر هرب سلطان شاه إسحاق بن قاروت بك وأخذ أخويه المسمولين من هَمْدان، ومَضيا إلى كرمان وقد سلّم عليهما قطعةً صالحَةً من نَظْرِيهما، وكان السلطان قد سار إلى خراسان بعد موت أخيه إلياس ليرتب أمورهما، وكانت قد خلصت له، وكان سلطان شاه قد التمس جاريةً تتولّى خدمته، وأخرى لأخيه الذي تنصّر معه، واستأذن السلطان في ذلك، فأذن له، وسُلّمت الجاريتان إليهما، فتركاهما في الحجرة التي كانا فيها، وقصدا أن يخلو المكان ولا يدخل عليهما أحد من الموكلين إلا بإذن؛ احتشاماً للجاريتين، وأخذوا في التدبير مع بعض الموكلين للهرب، فأجابوا، وبعث إلى كرمان يستدعي خيلاً وثياباً، وجاءته الخيل، وكمن في خراب البلد، وجاء إليه الموكلون به، وأعلموه بوصول الخيل في مكان عيّنوه، فكثّف الجاريتين، وجعلهما في بيت مظلم، وأغلق عليهما الباب، وفتح الموكلون سقفاً من البيت، واستاقوه وأخاه ونزلا وركبا الخيل، ولم يظهر خبرهما حتى تعالي النهار، ولم يتبعهما أحدٌ، ومضيا إلى كرمان، فحصلوا في قلعة لأبيهما، وسرّ الناسُ بهما.

وفيها وردت كتب أئسيّ التركماني [مقدّم الناوكية بفتح البيت المقدس سنة خمس وستين وإقامة الخطبة العباسية، وأن أئسيّ أحسن إليهم وبيد المصرية ولم يقاتلهم وقال: حرم الله، لا أقاتله، وإنما أريد إقامة الدعوة الإمامية العباسية والسلطانية. فأجابوه، وكانت الغرارة عندهم قد بلغت سبعين ديناراً، وكان به نائب المصري وكان تركياً، فراسل أئسيّ التركماني^(١) وقال: أنا منكم، وما أقمْتُ على الامتناع إلا وفاءً لمن كنتُ خادماً له وعبداً، وقد فعلتُ ما يجب عليّ، فإن أمّنتني على نفسي ومالي

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

سَلَّمْتُ إِلَيْكَ الْبَلَدَ، وَنَزَلْتُ إِلَيْكَ، وَأَقَمْتُ مَعَكَ. فَأَمَّنَهُ، وَحَلَفَ لَهُ، وَأَقَطَعَهُ ضِيَاعاً اقترحها، وفتح الباب ودخل، ونودي في البلد بالأمان، وكانت فيه أموالٌ عظيمةٌ فلم يتعرَّض لها، وأقام من يحفظ الناس، فجاءهم مالم يكونوا يظنُّونه، وأقام الدعوة للقائم والسلطان، وفتح الحصون المتعلقة به.

وفي جمادى الأولى ورد الخبر بحصول سلطان شاه بن قاروت بك وأخيه بكرمان بردشير حصن أبيه وأقام مقام أبيه، واجتمعت الكلمة عليه، وشغِبَ الجند على نظام الملك، وطالبوه بالأموال، حتى فرغت الخزائن.

وفي جمادى الأولى قَدِمَ الْحَاجِبُ أَتْكِينُ السَّلِيمَانِي إِلَى بَغْدَادَ، وَقَدْ طَابَ قَلْبُ الْخَلِيفَةِ عَلَيْهِ، فَأَمَرَهُ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْفُورَجِ لِيُصْلِحَهُ.
ذكر زيادة الماء في دجلة:

في جمادى الأولى زادت دجلةُ زيادةً عظيمةً لم يُعْهَدْ مِثْلُهَا، وَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ الْعَوَامَ بِالْخُرُوجِ مَعَ الْحَاجِبِ أَتْكِينِ إِلَى عَمَلِ الْفُورَجِ، فَخَرَجُوا وَإِذَا بِالْمَاءِ قَدْ أَقْبَلَ مِثْلَ الْجِبَالِ، فَرَجَعَ أَتْكِينُ وَالنَّاسُ، وَجَمَعَ الزَّوَارِيقَ، وَجَعَلَ رَحْلَهُ فِيهَا وَرَحَلَ أَصْحَابَهُ، وَأَرَادَ الْعُبُورَ إِلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ لِيَهْرَبَ، فَجَاءَتْ فِي اللَّيْلِ رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَسَيْلٌ عَظِيمٌ، وَطَفَحَ الْمَاءُ فِي الْبَرِيَةِ عَلَى الْحَرِيمِ، وَأَخْرَبَ أَسْوَارَ الْمَحَالِ، وَنَبَعَ الْمَاءُ مِنْ أَسْفَلَ، وَجَاءَ مِنْ فَوْقَ، وَقَلَعَ الطَّوَابِيقَ مِنْ دَارِ الْخَلِيفَةِ وَدُورِ النَّاسِ، وَنَبَعَتِ الْآبَارُ وَالْبَلَالِيعُ، وَوَقَعَ بَعْضُ الدُّوَرِ عَلَى بَعْضٍ، فَصَارَتْ تَلَالًا عَالِيَةً، وَأَثَارًا عَافِيَةً، وَصَبَّحَ الْمَاءُ دَارَ الْخَلِيفَةِ ففعل بها مثل ذلك، وأهلك من الأموال تحت الهدم والسكان الكثير، وهرب الناس إلى [الجانب الغربي و] التلال العالية، وافتضح الناس^(١).

وكانت قبائل العرب نازلة بين الزَّابَيْنِ فغشيهم الماء من الزاب الأعلى، فاجتمعت الجمال، وعجَّت واشتبكت حتى صارت كالجبل، وتلقَّت الماء بصدورها، وصعدَ عليها مَنْ لَحِقَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَهَرَبَتِ الْعَرَبُ عَلَى خِيُولِهَا فِي الْبَرِيَةِ يَطْلُبُونَ

(١) في (ب) و(م): النساء.

الروابي [والتلول]، وأخذ الماء الحِلل وَمَنْ فِيهَا، وبقيت الجمال وَمَنْ عَلَيْهَا يوماً وليلةً على حالها، فَسَلِمَ البعضُ، وأخذ الماء البعضَ [، وهلكت الأموال والنفوس وحلُّ بني شيبان والأكراد وغيرهم، وجاء الماء من نواحي أمثال الجبال]، واجتمع ماء الزَّابِين وتامراً، وانكسر الفورج، وعلا على دار الخليفة، وصار كالبحر، ثم جاء من ناحية الجانب الغربي من الفرات [والتقى الماءان، ووصل الخبر أن الماء ورد] (١) من البرية إلى سنجار فهدم سورها (٢)، وكان من حجارة، وأخذ باب البلد، فَدَحَى به نحواً من أربعة فراسخ، ووصل في البرية إلى تكريت، و[إنهم] مُطَرُوا في سنجار والموصل ثمانين يوماً لم يروا فيها شمساً، [وغرقت ضياعُ بغداد]، وزاد الماء حتى بلغ ثلاثاً وعشرين ذراعاً. وقيل: [إنه بلغ] ثلاثين [ذراعاً]، وجاء على وجه (٣) الماء من الأبواب والأخشاب والحشرات (٤) شيءٌ كثير، وجاء [تلُّ] من التراب على وجه الماء [وعليه سبعٌ ونُمورٌ واقفين]، وغرق الجانب الغربي [وقبر أحمد]، وخرج الموتى من القبور في التواييت على رأس الماء من عند قبر الإمام أحمد رحمة الله عليه والمشهد وباب أبرز، ووقعت الخانات والمنازل، وخرج النساء حاسرات، وجاء المطر من فوق، والنبع من أسفل، [فكان كما قال الله تعالى: ﴿فَفَنَحْنَا أَيْتَانَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدٍ قَدِيرٍ ﴿١٢﴾﴾] [القمر: ١١-١٢].

وأصبحت دار الخليفة وبغداد تلاماً، وخرج الماء من تحت سرير الخليفة، فنهض إلى الباب فلم يجد طريقاً، فحملته الخُدَّام على ظهورهم إلى روشن التاج ومعه عُدَّة [الدين] (٥)، وخرج جوارِيُّ الخليفة مُبْرِّزَات [مهتكات، وَعَبْرَنَ إلى الجانب الغربي، والخدم أيضاً]، ولم يبقَ عند الخليفة إلا نفرٌ يسير.

(١) في (خ) بدل من هذه الزيادة: وورد الماء.

(٢) العبارة في (م): فهدم سورها فهدمه.

(٣) في (خ): رأس، والمثبت من (ب).

(٤) بعدها في (م): والحيات.

(٥) مابين حاصرتين من (ب).

وأقيمت السفن تحت التاج، وحُطَّ فيها ما خفَّ حَمْلُهُ، والباقي تلف، ولبس الخليفةُ البردة، وأخذ بيده القضيب، ووقف بين يدي الله تعالى يبكي ويصلِّي ويتضرَّع، ولم يأكل طعاماً أياماً ولياليًا، وأما الوزير فخر الدولة فدخل عليه الماء إلى داره بباب عمورية، فركب فرساً، وخاض الماء إلى أن وصل إلى حجرة الخليفة واستأذن فيما يفعل، فقيل له: اطلب النجاة لنفسك قبل أن لا تقدر عليها. فمضى إلى الطيار على باب الغرفة فنزل فيه، وجاء إنسان [إلى الوزير] ومعه ولد ولد الوزير^(١)، فقال [له]: يا مولانا، معي ولد ولدك. فقال: أيش أعمل به، احتفظ به إن أمكنك حفظه. [وبعث بأهله إلى الجانب الغربي].

وقال الوزير: كنت صائماً يوم الاثنين، وجاء وقتُ الإفطار وأنا وحدي، وقد هرب الغلمان والحاشية والأهل، فبِتُّ وما أفطرتُ، وأصبحتُ يوم الثلاثاء فرميتُ نفسي في الطيار، فلما كان [آخر النهار] وقت المغرب أحضر لي بعضُ الملاحين ثلاثة أرغفة يابسة وسُكَّرَجَة^(٢) فيها خَلٌّ، فأكلتُ منها، واستلقيتُ على بارية في الطيار لم تسعني، وقعد من بقي من الناس في السفن.

ووقعت جميع الدور والمنازل التي من جانب بغداد الشرقي، وانهدمت مئة ألف دار وأكثر، وبقيت بغداد مَلَقَّة^(٣) واحدة، وانهدم سورُها، [فكان الإنسان يقف في الصحراء فيرى التاج]، وأقبل إنسان يخوض في الماء وعلى كتفه ولدان له صغيران، [فما زال يخوض بهما]، فلَمَّا أعى رَمَى بهما ونجا بنفسه. [وقال ابن الصائب]: وخصَّ [هذا] الغرق أماكن الفساد^(٤) والخمور والقمار والخواطي [مثل درب القيار ونحوه] وتشققت الأرض [فصارت مثل الخنادق]، ونبع منها الماء الأسود، وكان ماءً سخيط وعقوبة، ونُهبت خزائنُ الخليفة وما كان في الخانات، ولم يؤخذ أحد، وأقيمت

(١) العبارة في (م): ومعه ولده وولد ولده.

(٢) السُّكَّرَجَة: إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم. المعجم الوسيط (سكرج).

(٣) المَلَقَّة: الصفاة المساء. المعجم الوسيط (ملق).

(٤) في (م): الفساق.

الجمعة دفعتين في الطيَّار، ودخل الماء من شبايك المارستان العضدي فهدمه، ووقعت الجوامع والمساجد، وكان الماء في الجامع قامة، ولمَّا نقص الماء ضرب الوزير والناسُ الخيم، وعمل الخدم أكواخاً من القصب وأقاموا فيها، وبلغت أجرة الرُّوزجاري في اليوم خمسة قراريط، وأخرج الناسُ من تحت الهدم، وعلا الناس ببغداد الذل والصغار، وكانوا يمشون على التَّلال كالنمل، ثم فسد الهواء، وتنت البلد، وعفنت الغلال، فمات مَنْ بقي إلا القليل، [وصارت بغداد عبرةً للمعتبرين، وفكرةً للمتفكرين]، واستكثر الناس من زرع البطيخ والخيار والقثاء، ففسد جميعه ودوِّد، فكان الناس إذا مرَّ على القراح سدَّ أنفه، [وحصر الناس ما غرموه، فعُلم أنه ماء سخط وعذاب كالطوفان] والعجبُ أنَّ المواضع التي أسفل [من] بغداد [مثل] واسط والبصرة] كانت تغرق بدون هذه الزيادة، فما وصل إليها الغرق ولم يتجاوز بغداد، فاستدلُّوا على أنه ماء سخط، وفاض جيحون حتى طفح على وجه الأرض أربعة فراسخ - وقيل: عشرة - وتعدَّ الصُّنَّاع ببغداد، حتى إن النساء كُنَّ يضرِبْنَ اللَّبَن، وهبَّت عقب ذلك ريحٌ سوداءُ فرمت النخل، وكان الماء قد غطى رؤوس النخل.

وفي رجب ورد مؤيد الملك أبو بكر بن نظام الملك إلى بغداد، فلم يخرج أحدٌ لتلقَّيه من كثرة الطين، فشقَّ عليه ذلك، وظنَّ أنه تهاون به، فنزل بباب المراتب، وكان قد تزوَّج بابنة أبي القاسم بن رضوان البيِّع، وأغلق بابَه ولم يُعطِ أحدًا طريقاً، وبلغ الخليفة، فاستدعي إلى بيت النُّوبة وُخِّلِعَ عليه، وقيل له: قد علمت العذر في ترك تلقَّيك من كثرة الطين والخراب ولم تعرفنا، واعتذر إليه الوزير، وأصبح الوزير فقصده إلى النظامية وعاد.

وفي شوال ورد رسول نظام الدين بن مروان من ميَّافارقين ومعه رسول ملك الروم، ومعه كتابان إلى الخليفة والوزير مكتوبان بالذهب بالسرياني، وتحت كل سطر تفسيره بالعربي يتضمَّن المسألة لهما في الوساطة بينه وبين ملك شاه في الهدنة.

وفيهما بنى حسان بن مسمار الكلبي قلعة صرخد، وكتب على بابها: وأمر بعمارة هذا الحصن المبارك الأميرُ الأجلُّ مُقدَّم أمر العرب عز الدين فخر الدولة عدَّة أمير المؤمنين، يعني المستنصر؛ لأنه كان في خدمته، وذكر اسمه ونسبه.

قال محمد بن [هلال] الصائبي: ورد إلى مكة إنسانٌ أعجميٌّ يعرف بسلا^(١) من جهة السلطان جلال الدولة ملك شاه، ودخلها وهو على بغلة بمركب ذهب، وعلى رأسه عمامة سوداء، وبين يديه الطبول والبوقات، ومعه للبيت كسوة ديباج أصفر، عليها اسم محمود بن سُبُكْتِكِين وهي من استعماله، وكانت مودعةً في نيسابور مثل ذلك العهد عند إنسان يُعرف بأبي القاسم الدهقان البيع^(٢)، فأخذها الوزير نظام الملك، وأنفذها^(٣) مع المذكور، وكان قد ورد قبله إنسان من فارس يُعرف بأبي النضير الإستراباذي، وصادف في المسجد الحرام مواضع قد تهدمت، فأطلق ثلاثين ألف دينار أنفق بعضها [فيها]، وأخذ الباقي ابنُ أبي هاشم، وأجرى الماء من عرفات إلى مكة في قني كانت عملتها زبيدة غابت وخربت، ووجد البيت عُرياناً منذ سنين، فكساه ثياباً بيضاً من عمل الهند كانت معه لذلك، وفضض الميزاب وقال: لو علمتُ أنني إذا عملته ذهباً يسلم لعمليته. وتصدق في الحرمين بمال جزيل، وأعطى فقراء مكة والمدينة جرايةً لمدة سنة. وقيل: كان ذلك من سلطان شاه بن قاروت بك المفلت من همدان نذراً لله أن يفعل ذلك في مقابلة سلامة نظره بعد الكحل^(٤) وإفلاته من الحبس وسلامة أخويه من الكحل، وجعلت الكسوة التي جاءت من خراسان فوقها، وحمل السلاز إلى ابن أبي هاشم المال المقرّر له ولأصحابه على السلطان [فملاً قلبه وعينه]، وفرّق في العييد مالاً، وأخذ من الحاجّ الذين تبعوه دنائير دفعها إلى ابن أبي هاشم والعييد تطيبةً لقلوبهم^(٥)؛ لأن السلاز أكرمهم وحملهم وألزم كلفتهم [ومؤنتهم].

وورد رسولان من مصر فقبحا على ابن أبي هاشم خطبته للخليفة والسلطان، فصادفاه وقد ملأ السلاز عينه وقلبه مما حمل إليه [من خراسان]، فلم يلتفت إليهما [وأقصاهما].

(١) بعدها في (خ) و(م) زيادة كلمة غير واضحة، والظاهرة أنها مقحمة. فالخبر في النجوم الزاهرة ٩٥/٥ من دون تلك الكلمة.

(٢) في (م): المنبع، وهي ليست في النجوم الزاهرة.

(٣) في (م): وأهداها.

(٤) في (ب): الكفر.

(٥) العبارة في (م): بطيبة من نفوسهم.

وفيهما تُوفِّي

إبراهيم بن محمد^(١)

ابن محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن حمزة بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام أجمعين، أبو علي، الكوفي، سمع الحديث، وقرأ اللغة والأدب، وقدم دمشق ومعه أولاده عدنان وعمار وعمر ومعد، فأقاموا بدمشق مدة، ثم ساروا إلى مصر فأقاموا بها، وأكرمه المستنصر ووصله، فلما أراد العَوْدَ إلى الشام وصله بخمسة آلاف دينار، ثم عاد إلى دمشق فمرض مدة ثم بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أشتهي أن أموت بالكوفة. فقيل له: الشام مبارك. فقال: ما مقصودي بموتي في الكوفة إلا حتى إذا نُشرت يوم القيامة وأُخرجت رأسي من القبر أن أرى أولاد عمي وأهلي ووجوهاً أعرفها فعوفي، وعاد إلى الكوفة، فتُوفِّي بها في شوال.

وكان شاعراً، فمن شعره: [من الرجز]

راخ لها زمامها والأنسعا^(٢) ورُم بها من العلى ما شسعا^(٣)
 وأرحلُ بها مُغترباً عن العدا تُوطئكَ من أرض العدا مُتَّسعا
 يارائد الظَّعنِ بأكنافِ الحمى بلِّغ سلامي إن وصلتَ لعلعا^(٤)
 وحيِّ حياً^(٥) بأثيلات^(٦) النِّقا^(٧) عهدتُ فيه قمرأ مُبرِّقعا
 كان وقوعي في يديه ولعا وأول العِشقي يكون ولعا
 من بمنى وأين جيرانُ منى كانت ثلاثاً لا تكونُ أربعاً

(١) تاريخ دمشق ٧/٢١٣-٢١٤، ومعجم الأدباء ١٠/١٠-١٤، والمنتظم ١٦/١٥٨.

(٢) النُّسَع: سير عريض طويل تُشدُّ به الحقائق أو الرحال ونحوها. المعجم الوسيط (نسع).

(٣) شَسَع: بَعُد. المعجم الوسيط (شسع).

(٤) لَعَلَع: اسم موضع، ذُكر أنه ماء في البادية، ومزل بين البصرة والكوفة وغير ذلك.

(٥) في مصادر الترجمة: خدرأ.

(٦) الأثيلة تصغير أثلة، وهي من الأثل: شجر من الفصيلة الطرفاوية طويل مستقيم يعمر، جيد الخشب، كثير

الأغصان، دقيق الورق. المعجم الوسيط (أثل).

(٧) في المصادر سوى المنتظم: الغضا، وفي المنتظم: الحمى.

سلبتموني كبدًا صحيحةً ارتجعوا لي ليلةً بحاجرٍ^(١)
 وغفلةً سرقتها من زمني أنا ابنُ ساداتِ قريشٍ وابنُ مَنْ
 وابنُ عليٍّ والحسينِ وهما نحن بنو زيدٍ وما زاحمنا
 طابت أصولُ مجدنا في هاشمٍ وطالَ فيها عُودنا وفرعنا

أحمد بن محمد بن عقيل^(٢)

الشَّهْرَزُورِي، أبو العباس، سمع الحديث [الكثير]^(٤)، وكان أديباً فصيحاً شاعراً،
 وتُوفِّي ببيت المقدس في ذي القعدة، ومن شعره: [من البسيط]

وما ثناكَ عن الزُّورَاتِ لي مللٌ ولكن سمعتَ من الواشينِ فيٍّ ولم
 ولا نباكَ إكثارٌ وإقلالٌ تدرِ الهوى والهوى أدناه قتالٌ
 سألتُ طيِّفَكَ عن تلفيقِ إفكِهِمْ سعى الوُشاةُ لقطعِ الوُدِّ بينَكُما
 فقالَ معتذراً لا كان ما قالوا وللمودَّاتِ بينِ الناسِ آجالٌ

عبد الله بن محمد^(٥)

ابن سعيد بن سنان، أبو محمد، الحَفَاجِي، الشاعر، الحلبي، الفصيح، الفاضل،
 قرأ الأدب على أبي العلاء المعري وغيره، وسمع الحديث وبرع في فنّه، ومدح
 الأكابر، وتُوفِّي بقلعة أعزاز من أعمال حلب، فمن شعره: [من الطويل]

أيَا رَاكِباً مَالَتْ بِهِ نَشْوَةُ الكرى كما اهتَزَّ من مَرِّ الرِيَّاحِ لواءُ
 تحمَّلْ إلى الحيِّ المقيمِ رسالةً من الغيبِ ما فيها عليكِ عناءُ

(١) الحاجر: ما يُمسك الماء من شفة الوادي. الصحاح (حجز).

(٢) لَعْلَع: منزل بين البصرة والكوفة.

(٣) تاريخ دمشق ٧/ ١٥٣.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

(٥) الوافي بالوفيات ٥/ ٤٧٧.

ولا تنقضي أنفاسُهُ الصُّعداءِ
فما بينكم لولا التقى الغُرباءِ
فما تَنثني إلا وهُنَّ رِواءِ
مواطنَ فيها بالذَّمَامِ وفاءِ

ببِاضِ عِذارِي^(٢) في سوادِ المطالبِ
بكيثُ على شطْرِ من العُمَرِ ذاهِبِ
وعندي همومٌ قبل شيبِ الذَّوائِبِ
عِناني ولا قَضَى الشَّبَابُ مآربي
وَقَى لِي لَمَّا خَانَنِي كُلُّ صَاحِبِ
وَجَدْتُ دياراً للذَّموعِ السَّوَكِبِ
تَحِيَّةَ عَانٍ أَوْ شَكِيَّةَ عَائِبِ
صَدُورُ العِوَالِي أَوْ طِوَالِ السَّبَّاسِبِ^(٣)
إِذَا نَظَرْتُ أَفكارُها في العِوَابِ

وللناسِ في سُقيا الدِّيَارِ مِذَاهِبُ
بِريحِ النُّعَامِي^(٤) قَبْلَها السَّحَابُ

فَلَمَّا بَدَتْ نَجْدٌ وَهَبَتْ جَنُوبُها
وَقَلَّ لِنَجْدٍ أَنْ تَقَرَّ قَلُوبُها

تَحِيَّةَ مَنْ لَا يَمْلِكُ الصَّبْرَ عَنْهُمْ
عَهْدُكُمْ مَأْوَى الغَرِيبِ وَأَهْلَهُ
تَوْثُكُمْ آمالُ قومِ صِوَادِيَا^(١)
فما لَكُمْ لا أوحشَ اللهُ مِنْكُمْ
وقال أيضاً: [من الطويل]

أناخَ عَلَيَّ الهَمُّ من كلِّ جانبِ
وما ساءَني فَقْدُ الشَّبَابِ وإِنَّمَا
وما راعني شيبُ الذَّوائِبِ بَعْدَهُ
ولكنَّهُ وافى وما أَطْلَقَ الصُّبَا
وما كنتُ من أَصحابِهِ غيرَ أَنَّهُ
بَكَى النَّاسُ أَطْلالَ الدِّيَارِ وَلَيْتَنِي
أَحبابِنا هَلْ تَسْمَعُونَ على النَّوَى
وما أَنَا بالمُشْتاقِ إِذْ قَلْتُ بَيْننا
فما لِقُلوبِ العاشِقِينَ مَزِيَّةُ
وقال: [من الطويل]

سقى بانه الجِرْعاءُ من بطنِ تُوْضِحِ
نسيمٌ كَأَنفاسِ الحُزَامِي صَقِيلَةٌ
وقال: [من الطويل]

رَمَتْ بِالْحَمَى أَبصارَها مَطْمِئنةٌ
بِخِلْنا عَلَيْها بِالْبُرى^(٥) فَتَقَطَّعَتْ

(١) الصوادي، من الصدى: وهو العطش الشديد. المعجم الوسيط (صدي).

(٢) العذار: جانب اللحية. المعجم الوسيط (عذر).

(٣) السَّبَّاسِب؛ جمع سَبَسِب؛ وهي المفاضة. المعجم الوسيط (سبب).

(٤) النُّعَامِي؛ هي ریح الجنوب. المعجم الوسيط (نعم).

(٥) البُرى؛ جمع بُرة؛ وهي حلقة من نحاس تكون في أنف البعير للتذليل. القاموس المحيط (برى).

وقال: [من الكامل]

من إخوة الأيام لا من إخوتي
بكم فحازت في السبيل وضلت
لم تكتبوا فيها إلي بلفظة
ما استحق به عظيم الجفوة

يا إخوتي وإذا صدقت فأنتم
بعداً لأمالي التي علقتها
أغيب عن حلب ثلاثة أشهر
حتى كآني قد جنيت عليكم

وقال: [من الكامل]

يوم العذيب مدامع وخذود
خبر يطول به الجوى^(١) ويزيد
كم تستطيل بك الليالي السود
دمن^(٢) حيسن على البلى وغهود
يهفو على آثارهم ويعود
شغل لعمرك يا أميم جديد
عقمت به الآمال وهي ولود
قبل اللقاء دلائل وشهود
والمائسات ذوابل وقود
قصباته وبنو الزمان رقاد
قربت فإني منكم معدود

ومهون للوجد يحسب أنها
سل بانه الوادي فليس يفوتها
وانشد معي ضوء الصباح وقل له
وإذا هبطت الوادين وفيهما
فاخذع فؤادي في الخليط لعله
أصابة بالجزع بعد سويقة
وعلى الثنية من تباله موعد
قوم يلوح لهم على علمائهم
فالامعات أسنة وأسرة
هبوا إلى المجد الرفيع فأحرزوا
إن لم يكن بيني وبينك نسبة

وقال يمدح أهل البيت الشريف عليهم الصلاة والسلام: [من الكامل]

قرآن فيه ضالها ورشادها
وبسيفه نصبت لكم أعوادها
قتل الحسين وما خبت أحقادها

يا أمة كفرت^(٣) وفي أفواهها ال
أعلى المنابر تلعنون نسيبه^(٤)
تلك الضغائن بينكم بدرية

(١) الجوى: اشتداد الوجد من عشق أو حزن. المعجم الوسيط (جوي).

(٢) الدمن: جمع دمنة: وهي آثار الناس وما سؤدوا. المعجم الوسيط (دمن).

(٣) في (خ) - والترجمة فيها وحدها -: صلت، والمثبت من الديوان.

(٤) في (خ): تغلبون بسنة، والمثبت من الديوان.

ضُرِبَتْ لَهُمْ يَوْمَ الظُّنُونِ صَوَارِمٌ
وقال: [من الرمل]

أَخَذَ النَّوْمَ وَأَعْطَى السَّهْرَا
حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُنَّ الْكَرَى
مِثْلَمَا كُنَّا اشْتَرَكْنَا نَظْرَا
وَهُمَ الْبَارِقُ فِيمَا ذَكَرَا
فَارَقَ الْأَظْعَانَ حَتَّى انْفَظَرَا
أَحْرَامٌ عِنْدَهُ أَنْ يُمَظَرَا
لَا سَقَى^(١) اللَّهُ الْعَضَا وَالسَّمْرَا
فِطْنِ الدَّمْعِ بِهِ فَاانْتَشَرَا
وَالْمَطَايَا وَالْفَيَافِي وَالشُّرَى
مَا يَرُوعُ السَّيْفُ حَتَّى يُشْهَرَا
تُلْبِسُ الْحَيَّ عَجَاجاً^(٢) أَكْدَرَا
إِنَّمَا يُدْرِكُهَا مَنْ شَمَّرَا

أَثْرَى طَيْفُكُمْ لَمَّا سَرَى
يَا عَيُوناً بِالْغَضَا رَاقِدَةً
لَوْ عَدَلْتُنَّ تَسَاهَمْنَا جَوَى
سَلْ فَرُوعَ الْبَانِ عَنِ قَلْبِي فَقَدْ
قَالَ فِي الرَّبْعِ وَمَا أَحْسَبُهُ
مَا عَلَى الْبَارِقِ مِنْ سُقْيَا الْحَمَى
وَإِذَا مَا فَاتَهُ رَيْكُكُمْ
حَبَّذَا فِيكَ حَدِيثٌ بَاطِنٌ
دُونَ نَيْلِ الضَّمِيمِ نَفْسٌ حُرَّةٌ
أَيْهَا الْقَاعِدُ عَنْ زَهْرَتِهِ
شَنَّهَا فَهَيَّ عَلَى عِلَّاتِهَا
قَدْ رَجَوْنَاكَ فَشَمَّرْ جَاهِدَا

وقال يرثي أهله وأصدقاءه: [من الخفيف]

وَحَدِيثُ الْمُنَى خِدَاعٌ وَزُورُ
تَبَدُّهُ الْحَازِمِ الْحُطُوبُ فَإِنْ قُدِّرَ أَبَدَتْ مَا أَغْفَلَ التَّقْدِيرُ
وَإِذَا قَتَّرَ الْبَخِيلُ فَلِلْأَيَّامِ فِي طَيِّ عُمُرِهِ تَبْذِيرُ
لَا تَظُنَّ الْفَقِيدَ أَفْرَدَهُ الْبَيْ
سَلْ بَعْمَدَانَ أَيْنَ سَاكِنُهُ سَيْدُ
عَدَلِ الدَّهْرِ فِيهِمْ قِسْمَةٌ أَلْ
إِنَّ فِي جَانِبِ الْمُقْتَضَمِ مَهْجُو
وَمُقِيمًا عَلَى الْمَعْرَةِ تَطْوِي

وَحَدِيثُ الْمُنَى خِدَاعٌ وَزُورُ
تَبَدُّهُ الْحَازِمِ الْحُطُوبُ فَإِنْ قُدِّرَ أَبَدَتْ مَا أَغْفَلَ التَّقْدِيرُ
وَإِذَا قَتَّرَ الْبَخِيلُ فَلِلْأَيَّامِ فِي طَيِّ عُمُرِهِ تَبْذِيرُ
لَا تَظُنَّ الْفَقِيدَ أَفْرَدَهُ الْبَيْ
سَلْ بَعْمَدَانَ أَيْنَ سَاكِنُهُ سَيْدُ
عَدَلِ الدَّهْرِ فِيهِمْ قِسْمَةٌ أَلْ
إِنَّ فِي جَانِبِ الْمُقْتَضَمِ مَهْجُو
وَمُقِيمًا عَلَى الْمَعْرَةِ تَطْوِي

(١) في الديوان: وإذا أغضبه ريكم... فسقى.

(٢) العجاج: الغبار والدخان. المعجم الوسيط (عجاج).

عُصْبَةٌ كُنْتُ أَدْعِي لَهُمُ الْوَدَّ فَصَبِرِي لُوْمٌ عَلَيْهِمْ كَثِيرٌ
وَحَيَاتِي عُنْزٌ فَهَلْ لَوْقَائِي
يَا أَيُّهَا الظَّاعِنُونَ لَا زَالَ لِلْغَيْدِ
لَسْتُ أَرْضَى بِالِدَّمْعِ فِيكُمْ فَهَلْ
قَدِ رَأَيْنَا دِيَارَكُمْ وَعَلَيْهَا
وَسَأَلْنَا أَطْلَالَهَا فَأَجَابَتْ
عَرَصَاتٌ كَأَنَّهُنَّ لِيَالٍ
بَانَ ذُلُّ الْأَسَى عَلَيْهَا فَلِلْغَيْدِ
ذَكَرْتَنَا عُهُودَكُمْ بَعْدَمَا طَا
عَجَبًا كَيْفَ لَمْ نَمُتْ فِي مَغَانِي
يَا دِيَارَ الْأَحْبَابِ غَيْرِكَ الدَّهْرُ
أَيْنَ أَيَّامُنَا بِظِلِّكَ وَالشَّمْسُ
نَشْوَةٌ أَعْقَبَتْ خُمَارًا مِنَ الْهَمِّ
وَزَمَانٌ مَضَى فَمَا عُرِفَ الْأَوَّلُ إِلَّا بِمَا جَنَاهُ الْأَخِيرُ
يَا نُجُومَ الْعُلَى وَمَا فِي الْـ
وَعَفَا الْجُودُ وَالْكَرِيمُ بِخَيْلٍ
وَتَسَاوَى الْوَرَى فَلَمْ يَبْقَ مَشْكَو
لَا يُجَاوِرُكُمْ الصَّعِيدُ بِسَوْءِ
وَسَقَاكُمْ مِنَ السَّحَابِ صِنَاعُ الْـ
كُلُّ غَنَاءٍ يَقْلَعُ الْغَيْثُ عَنْهَا
عَارِضٌ مُغْضِبٌ عَلَى الْمَحَلِّ لَا يَخُ
أَشْرَقَتْ فِيهِ لِلشَّقِيقِ حُدُودُ
عَمَّ مَعْرُوفُهُ فِي كُلِّ وَادٍ
وَعَلَى الرَّغْمِ أَنْ يَجُودَ عَلَيْكُمْ

أَجَلٌ عَاجِلٌ وَعُمُرٌ قَاصِرٌ
ثِ رَوَاحٌ عَلَيْكُمْ وَبُكُورٌ
يَمْلِكُ رِيَّ الْبُحُورِ إِلَّا الْبُحُورُ
أَثْرٌ مِنْ عُفَاتِكُمْ مَهْجُورُ
وَمِنَ الصَّمْتِ وَاعْظُ وَنَذِيرُ
فَارَقَتْهَا عِنْدَ الْكَمَالِ الْبُدُورُ
ثِ بُكَاءٌ وَلِلنَّسِيمِ زَفِيرُ
لَتْ لِيَالٍ مِنْ بَعْدِهَا وَشَهُورُ
هَا أَسَى مَا الْقُلُوبُ إِلَّا صَخُورُ
رُ فَكَانَتْ بَعْدَ الْأُمُورِ أُمُورُ
لُ جَمِيعٌ وَالْعَيْشُ غَضُّ نَضِيرُ
وَلَكِنْ قَدْ يَفْرُقُ الْمَخْمُورُ
وَزَمَانٌ مَضَى فَمَا عُرِفَ الْأَوَّلُ إِلَّا بِمَا جَنَاهُ الْأَخِيرُ
لَيْلٍ مِنْ بَعْدِكُمْ نُجُومٌ تَغُورُ
فِي الْمُلِمَّاتِ وَالْعَنِيِّ الْفَقِيرُ
رٌ عَلَى مِئْتَةٍ وَلَا مَعْدُورُ
فَهُوَ لِلنَّازِلِينَ بِئْسَ الْمَجِيرُ
كَفَّ يُسْدي فِي رَوْضَةٍ وَيُنِيرُ
وَلَهَا أَعْيُنٌ مِنَ النُّورِ حُورُ
طُرُ إِلَّا وَسَيْفُهُ مَشْهُورُ
وَأَضَاءَتْ مِنَ الْأَقَاحِي^(١) نُغُورُ
مِنْ أَيَادِيهِ رَوْضَةٌ وَغَدِيرُ
وَهِبْ بِالنَّوَالِ مِنْكُمْ جَدِيرُ

(١) الأقاحي؛ جمع أفحوان؛ وهو نوع من النباتات، فيها البابونج الأبيض. المعجم الوسيط (قحي).

كُم وَلَكِنْ قَدْ يَنْفُكُ الْمَصْدُورُ
فِي غَلِيلًا فَكُلُّهُ تَقْصِيرُ

دُمُوعِي فَإِنِّي مَا أُرِيدُ الْهُوَى سِرًّا
بِهِمْ كَأَنَّا مَا عَرَفْنَا بِهَا الدَّهْرَا
خَلَسَتْ فَمَا رَاعَيْتَ نَهِيًّا وَلَا أَمْرَا
فَوَيْحَكَ لِمَ طَاوَعْتَهُ مَرَّةً أُخْرَى

مَتَعَمَّدِ الْإِسْهَابِ فِي إِجْزَائِهِ
عِنْدَ النُّهْيِ إِلَّا كَمِثْلِ مَجَازِهِ
سَفَهًا فَحَالَ الْمَوْتُ دُونَ نَجَازِهِ
فِي شَامِهِ وَعِرَاقِهِ وَحِجَازِهِ

مِنْ شَرِّ غَاوٍ^(١) فِي الْحُطَامِ مُنَافِسِ
وَاسْمَحْ بِقُوَّتِكَ لِلضَّعِيفِ الْبَائِسِ
سَبَبٌ لِكُلِّ تَنَافُرٍ وَتَشَاوِسِ
لَا تَبْتَغِي كَفَّ الزَّمَانِ الْخَالِسِ
سَادَاتُهَا غَضَبًا لِلطَّمَةِ دَاحِسِ
مِنْ بَعْدِ مَا أَمْضَى عَزِيمَةَ جَالِسِ
وَالْعَمْرُ أَنْفَقَ مِنْهُ غَيْرُ مُمَاكِسِ
فِيهَا صُدُورَ مَرَاتِبٍ وَمَجَالِسِ
فِي أَخَذِ مَالٍ مَسَاجِدٍ وَمَدَارِسِ^(٢)

مَا أَرَى الشُّعْرَ كَافِيًّا فِي مَرَاثِي
وَإِذَا مَا أَطْلُتُ فِيهِ وَلَمْ يُشْـ
وقال: [من الطويل]

خَلِيلِي بُنَا مَا أَمَلْتُ عَلَيْكُمَا
سَقَى اللّهُ أَيَّامًا مِنَ الدَّهْرِ لَمْ تَشِبْ
وَيَا طَرْفُ قَدْ حَذَرْتُكَ النَّظْرَةَ الَّتِي
وَيَا قَلْبُ قَدْ أَرَدَاكَ مِنْ قَبْلُ مَرَّةً
وقال أيضاً: [من الرجز]

أَمَّا الزَّمَانُ فَمُوجِزٌ فِي وَعْظِهِ
لَا تُخَدَعَنَّ فَمَا حَقِيقَةُ أَمْرِهِ
كَمْ مَوْعِدٍ مِنْهُ تَعَلَّقَ طَامِعٌ
مَنْ كَانَ مُقْتَنِعًا فَقَدْ وَجَدَ الْغِنَى
وقال أيضاً: [من الكامل]

اسْتَغْفِرِ الْمَلِكَ الْقَدِيمَ وَعُذِّبِهِ
وَاصْنَعِ جَمِيلًا لَا يَضِيعُ صَنِيعُهُ
لَا تَرَكْنَنِّي إِلَى الْمِرَاءِ فَإِنَّهُ
وَاقِنَعُ فِي عَيْشِ الْقِنَاعَةِ نَعْمَةٌ
ضَلَّتْ بَنُو غُظْفَانَ فِيهِ فَقُتِلَتْ
وَالْحَارِثُ الْبَكْرِيُّ قَامَ إِلَى الْوَعْيِ
أَلْفَ الْبَخِيلِ مَكَاسَهُ فِي مَالِهِ
عَادَتْ بَنُو حَوَاءَ مِنْ إِبْلِيسَ فِي الدُّنْيَا وَكَمْ فِيهَا فُنُونٌ أَبَالِسِ
دَرَسُوا الْعُلُومَ لِيَمْلِكُوا بِجَدَالِهِمْ
وَتَزَهَّدُوا حَتَّى أَصَابُوا فُرْصَةً

(١) في الديوان: عافٍ.

(٢) في الديوان: وكنائس

وديارُهُ أَضَحَّتْ مُنَاخَ عَرَائِسِ
 قَدَرُ أَطَاعَتْهُ مَدَائِنُ فَارِسِ
 فَإِذَا عَثَرْتَ فَلَا لَعَالَ لِلنَّاعِسِ
 جَهْلُ اللَّبِيبِ وَبُعْدُ نَيْلِ اللَّامِسِ
 فِيهَا وَمَا ظَفِرُوا بِغَيْرِ وَسَاوِسِ
 عِنْدِي وَلَا الْمَرَوِيُّ عَنِ رُسْطَالِسِ
 تَشْفِي الْعُقُولَ وَلَا إِمَارَةَ قَابِسِ
 لَهُمْ وَإِنْ وُجِدَتْ بِخَطِّ دَارِسِ
 وَالصَّدْقُ عُدَّةٌ مِنَ الْقَبِيلِ الْخَامِسِ
 حَتَّى تَكُونَ ذَوَائِبُ كَمَغَارِسِ
 نَاضِلٌ وَفِي بَدَلِ الْمَكَارِمِ نَافِسِ
 فِي جُنْحِ دَاجِيَةِ الظَّلَامِ الدَامِسِ

فلنا ديونٌ بالأسِنَّةِ تَقْتَضِي
 فِيهَا وَأَنَّ لُمُغَمِدٍ أَنْ يَنْتَضِي

أَتَى رَعِيْتُ لَهُ النُّجُومَ وَعَمَّضَا
 فَرَوَى لَهُ خَبَرَ الْعُذَيْبِ مُعَرَّضَا
 إِنْ كَانَ أَضْمَرَ أَنْ يُمَرَّ عَلَى الْغَضَا

فَأَيَّنَ الْعَوَاصِمُ مِنْ لَعَلَعِ
 فَلَوْلَا الصَّبَابَةُ لَمْ تَتَّبَعِ
 عَلَى الدَّارِ تَسْعَدُ فِيمَا تَعِي
 بِحُكْمِ الصَّبَابَةِ مِنْ مَدْمَعِي
 وَلَيْسَ الْيَمِينُ عَلَى الْمُدْعِي

إِيوَانُ كَسْرَى صَارَ مَرْتَعٌ ثَلَّةِ
 وَالْحِيرَةُ الْبَيْضَاءُ بَدَلٌ أَنْسَهَا
 يَا عَقْلُ مِثْلَكَ فِي اللَّطَائِفِ مَنْهَجٌ
 أَمَّا النُّجُومُ فَقَدْ تَضَمَّنَ شَأْنَهَا
 عَمْرِي لَقَدْ ذَهَبَ الَّذِينَ تَفَكَّرُوا
 مَا قَوْلُ بَطْلِيمُوسَ فِيهَا حُجَّةٌ
 حَارَ الْأَنَامُ فَلَا دَلَالَةَ نَاطِرِ
 لَا تَحْفَلَنَّ بِمَا حَوَتْهُ صَحَائِفُ
 فَالْمَيْنُ رُكْبَ فِي طِبَائِعِ أَرْبَعِ
 هَيْهَاتَ مَا شَرَفُ الْأَصُولِ بِنَافِعِ
 لَا تَفْخَرَنَّ وَإِنْ فَخَرْتَ فَبِالْتُّقَى
 سُبْحَانَ مَنْ نَظَّمَ النُّجُومَ قَلَانِدَا

وقال أيضاً: [من الكامل]

يا ناقُ إنْ أَثْرَى الْعُذَيْبُ وَرَوَّضَا
 قَدْ مَاطَلَ الْقَدْرُ الْجَمُوحُ بَوَعْدِهِ

وقال أيضاً: [من الكامل]

وَبِجَانِبِ الْعَلَمَيْنِ شَاكٍ سَرَّةِ
 وَمُرْتَجِحِ فِطْنِ النَّسِيمِ بِوَجْدِهِ
 وَسَلِ الْبَرِيْقِ وَقَدْ أَقَامَ بِحَاجِرِ

وقال أيضاً: [من المتقارب]

دَعَوْهَا تُنْضِلُ بِالْأَذْرَعِ
 وَمَدُّوا أَرْمَمَتَهَا بِالْحَنِينِ
 وَيَا سَعْدُ هَلْ لَكَ فِي وَقْفَةٍ
 كَتَمْتُ الْعَرَامَ وَلَكِنْ أَتَيْتُ
 وَأُقْسِمُ أَتَى أَهْوَاكُمُ

وقال: [من الكامل]

فَمَتَى يَكُونُ لِدَائِهَا إِفْرَاقُ فِي كُلِّ يَوْمٍ نَشْطَةٌ وَوِثَاقُ
وَوَجَى الْمَنَاسِمُ وَالخُدُودُ طِرَاقُ تَشْكُو صَدَاهَا وَالذَّمُوعُ مَنَاهِلُ

وقال يعاتب محمود صاحب حلب: [من الخفيف]

قَدْ قَنِعْنَا مِنْ وَصَلِكُمْ بِالْخِيَالِ وَصَبَرْنَا عَلَى مِلَالِكُمُ الزَّا
وَرَأَيْنَا دِيَارَكُمْ فَلَقِينَا دَارِسَاتٍ وَنَاحِلِينَ كَمَا يُفُ
خَبَرُونَا عَنِ الْكُرَى وَاسْمَعُوا حَفَظَ اللَّهُ مَعِشْرًا ضَيَّعُوا الْعَهْدَ
ثَقُلَ النَّاسُ فِي الطَّلَابِ وَخَفَّفُ وَأَرَانِي كُلَّ يَوْمٍ إِلَى خَلْفِ
مَا اتَّفَقْنَا إِلَّا عَلَى صَحْبَةِ الدَّهْرِ وَقَالَ أَيضًا: [من البسيط]

عَلَى الثَّنِيَّةِ دُونَ السَّفْحِ وَالْعِلْمِ نَشِدْتِكَ اللَّهُ هَلْ أَنْسَيْتَ لَيْلَتَنَا
كَخُلْبِ الْبَرْقِ لَمْ يُمِطِرْ وَلَمْ يَدْمِ لَوْلَا عَقَابِيلُ وَجَدِ قَلْتُ وَدَّهْمُ
وَجَدًا فَيَالَيْتَهَا بَانَتْ كَعَهْدِهِمْ وَبَانَةُ السَّفْحِ تُغْرِينِي بِذِكْرِهِمْ
لَقَدْ عَلِقْتَ بِشُعْبٍ غَيْرِ مُلْتَمِّمِ أَهْأَ لِقَلْبِكَ مِنْ نَجْدٍ وَسَاكِينِهِ
مَا يُدْرِكُ الْمَجْدُ بَيْنَ الشَّاءِ وَالنَّعَمِ يَا طَالِبَ الْعِزِّ مَنْ خَفِضَ وَمَنْ دَعَا

قال أيضاً: [من الخفيف]

إِنَّمَا نَطْلِبُ شَيْئاً هَيِّنَا مَا عَلَى أَحْسَنِكُمْ لَوْ أَحْسَنَا
فَعَدَدْنَا بِأَحَادِيثِ الْمُنَى قَدْ شَجَانَا الْيَأْسُ مِنْ بُعْدِكُمْ
فَتَنَّ الْحُبُّ بِهِ مِنْ فَتْنَا لَا وَسِحْرٍ بَيْنَ أَجْفَانِكُمْ
تَحْسُدُ الْعَيْنُ عَلَيْهِ الْأَذْنَا وَحَدِيثٍ مِنْ مَوَاعِيدِكُمْ
فَرَأَتْ عَيْنَايَ شَيْئاً حَسَنًا مَا رَحَلْتُ الْعَيْسَ عَنْ أَرْضِكُمْ

هل لنا نحوكم من عودة
ولعمري لو وجدنا راحة
يانديمي على ذكرهم
بين عذري وضميري عرب
كلما شئت عليهم غارة
وقال: [من مجزوء الكامل]

يا منفضاً ماء الجفو
إن لم تكن عيني فأند
ن^(٢) وكنت أنفقه عليه
ت أعز من نظرت إليه

عبد العزيز بن أحمد^(٣)

ابن محمد بن علي بن سليمان، أبو محمد، الكتاني، الصوفي، الحافظ، الدمشقي، أحد
الرحالين في طلب العلم، ولد في رجب سنة سبع وثمانين وثلاث مئة، توفي في جمادى
الآخرة، وكان من المكثرين من الحديث كتابة وسماعاً مع الصدق والأمانة والسلامة.

محمد بن إبراهيم^(٤)

ابن علي بن إبراهيم، أبو بكر، العطار، الحافظ، الأصفهاني، كان عظيم الشأن
ببلده، عارفاً بالرجال والامتون، وكان إماماً ثقة.

محمد بن محمد^(٥)

أبو عبد الله، الطالقاني، الصوفي، سافر إلى البلاد، وسمع الكثير، وسكن صور
إلى أن مات بها في ذي القعدة عن ثمانين سنة.

(١) في الديوان: لطلبنا.

(٢) في (ب): العيون.

(٣) تاريخ دمشق ٣٦ / ٢٦٢-٢٦٥، والأنساب ٣ / ٩-٢١٠، والمنتظم ١٦ / ١٥٨-١٩٥. وتنظر مصادر
الترجمة في السير ١٨ / ٢٤٨.

(٤) تاريخ بغداد ١ / ٤١٧، والمنتظم ١٦ / ١٥٩.

(٥) تاريخ دمشق ٥٥ / ١٩٨-٢٠٠.

ومن رواياته عن أبي عبد الرحمن السُّلمي^(١)، عن محمد بن عبد الله الرازي، عن أبي الحسين الثوري قال: رأيتُ غلاماً جميلاً ببغداد، فنظرتُ إليه، ثم أردتُ أن أُكرِّر النظر، فقلت: تلبسون النُّعال الصَّرارة، وتمشون في الطرقات؟ فقال الغلام: أحسنت! أُتجمِّسُ^(٢) بالعلم؟ ثم أنشأ يقول: [من الطويل]

تأمَّل بعينِ الحقِّ إن كنتَ ناظراً إلى صفةٍ فيها بدائعُ فاطرٍ
ولا تُعطِ حظَّ النَّفسِ فيها لِمَا بها وكُنْ ناظراً بالحقِّ قُدرةً قادرٍ

محمد بن عبيد الله^(٣)

ابن أحمد بن أبي الرعد الحنفي، قاضي عُكْبَرَا، تُوفِّي بها يوم الجمعة ثالث ربيع الآخر، وكان ثقةً.

الماوردية البصرية^(٤)

كانت زاهدةً عابدةً سالحةً، تجمع إليها النساء فتعظهنَّ وتؤدِّبهنَّ، قاربت ثمانين سنة، أقامت منها خمسين لا تفطر بالنهار ولا تنام بالليل، ولا تأكل خبزاً ولا رطباً ولا تمرّاً، وإنما تُطحن لها الباقلاء فتتقوت بها، وكانت وفاتها بالبصرة، ولم يبقَ بالبلد إلا من شهد جنازتها، ودُفنت بظاهر البصرة عند قبور الصالحين.

السنة السابعة والستون وأربع مئة

فيها في صفر مرض القائمُ بأمر الله مرضاً شديداً، وانتفخ حلُّقه، وامتنع من الفُصد، فقصد الوزيرُ فخرُ الدولة بابَ الحجرة ليلاً، وحلف بالأيمان المغلظة أنه لا يبرح حتى يقع الفُصد، فأذن في إحضار الطبيب، وافتصد فصلح، وانزعج الناس في الدار

(١) طبقات الصوفية ص ١٦٧ .

(٢) يقال: جمش المرأة؛ أي: غازلها بقرصٍ أو ملاءبة. المعجم الوسيط (جمش).

(٣) المنتظم ١٥٩/١٦ .

(٤) صفة الصفوة ٤/٤٧، والمنتظم ١٥٩/١٦-١٦٠ .